كتاب روضة الفصاحة

تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل زين الدين محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي الحنفي تغمده الله برحمته ورضي عنه آمين

هذه هي العبارة المحررة في أول صفحة من هذا المخطوط الصغير الحجم المحفوظ في مكتبة مسجد احمد باشا الجزار في مدينة عكا من أعمال فلسطين وقياس هذه المخطوطة ٧ ١/٢ × ٥ ١/٢ من السانتيمترات . وفي كل صفحة منها ١٩ سطراً وفي كل سطر ١١ كلمة أو أقل . وقد سطت الأرضة على صفحات الكتاب فقرضت منها ما شاءت ان تقرض حتى ضاعت بعض الكلمات . وقد جاء في أوّله :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الامام العالم الفصيح جمال الأدباء زين البلغاء محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي تغمده الله برحمته ورضوانه

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان وأرهف سيف .. الكتاب وزين سنان لسانه بفصل الخطاب وفتح ببيان بيانه معاقل البلاغة وحصونها وذلل سهولها وحزونها وأبرز له الدر المكنون من لجة بحرها .. الى نظم العقود بحل العقد من نفثات سحرها وأعطاه من العقل محلّ النقد وألقى اليه زمام الحل والعقد ونصب له معيار التمييز ليفصل به الخبث والابريز واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تطابقت في العذوبة والصفاء موارد اخلاصها وتسابقت الى منازل القبول نجائب فلاحها واشهد ان محمداً عبده المنتقى ورسوله المنتخب صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم ما اهتزّت سمر الرماح واعتزّت بيض الصفاح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد فلما كان علم البيان الذي يسميه بعض المتأخرين صناعة البديع في وجنة علم الأدب كالخَفَر وفي مقلته كالحَوَر وفي عرنينه كالشمم وفي ديباجته كالعلم وفي ثغره كاللعس وفي حه كالقبس لكونه العلم الذي أصبح لخزائن اسرار القرآن العزيز مفتاحا ولسالكيه نجماً هادياً ومصباحا وهو الطريق الواضح الى معرفة بدائع اعجازه وبلاغة ايجازه وهو محكّ نقد الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب الذي لا خلاف في انه كان في ميدانهم اذا تجاروا في مضمار الفصاحة والبيان وتنازعوا فيها قصب الرهان ولولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر وينفث السحر ولولاه لأظلمت آفاق البلاغة واستمر السرار بأهلتها واستولى الخفاء على تفصيلها وجملتها فليس في فنون الأدب فن هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً به يتميز بين ضعيف الكلام ومتينه وغثه وسمينه ولُجينه وَلَجينه [1] وهجانه وهجينه [2] ومستملحه ومستقبحه ومستحسنه ومستهجنه فهو العلم الذي تمت حسناته ودلت على اعجازه سوره وآياته . وكأن الناس قد ألقوا الواحه وأطفأوا مصباحه ودرسوا معالمه وطمسوا مراسمه حتى ان اكثرهم لا يفرق بين اسمه ومسماه ولا يُميز بين حقيقة لفظه ومعناه .

أحببت ان اصنع فيه مختصراً مسمى «روضة الفصاحة» جامعاً بين الايجاز المعجز والاعجاز الموجز والأمثلة الفائقة والأشعار الرائقة والعبارات الرشيقة والاشارات الدقيقة لم يوضع مثله في شرف نثره ونظمه على صغر قدره وحجمه ليكون سبباً لاحياء معالم هذا العلم ورسومه ووسيلة الى اظهار مضمره ومكتومه والله المسئول ان ينتفع به طالبه ويسامحني بما وقع من الخطأ والزلل فيه بفضله وكرمه .

(١) الأُجين الفضة واللجين الوسخ وأصلها اللِجن .
(٢) الهجان الجبار والرجل الحسيب والهجين اللئيم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فصل : في معنى الفصاحة والبلاغة والوجازة والبيان

اعلم ان اكثر العلماء لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الاسمين المترادفين على اسم واحد ومنهم الجوهري فانه سوى في الصحاح بين البلاغة والفصاحة والبيان وجعل الكلام القصير هو الوجيز .

وقال بعض البلغاء البلاغة حسن معاني الكلام والفصاحة حسن الفاظه وعذوبتها .

وللعلماء في الفرق بين هذه الألفاظ الأربعة كلام طويل لا يحله هذا المختصر وأحسن ما قيل فيه ان الفصاحة خلوص الكلام عن التعقيد ومنه قولهم فصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

وليست الفصاحة عند المدققين من اربابها والمحققين من اصحابها استعمال اللفظ الذي لا يفهم والغريب الذي لا يعلم والبلاغة ان يبلغ الرجل بعبارته حقيقة ما في قلبه مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والبيان قريب من الفصاحة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « انّ من البيان لسحراً » .

والايجاز التعبير عن المعنى بأقلّ ما يمكن وهو على قسمين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى مثاله قوله تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ : فاصدع بما تؤمر فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع معاني الرسالة .

وقوله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذه الكلمات جمعت مكارم الأخلاق .

وقوله تعالى : مدهامتان معناه مسودّتان من شدّة الخضرة

ﷺ : لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان تحت ذلك أشياء كثيرة

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : استعينوا على أموركم بالكتمان

وقوله عليه الصلاة والسلام : دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان تحت كل واحد من هذه الأحاديث الثلاثة معاني كثيرة وفوائد غزيرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والايجاز الحذف هو الاستغناء بالمذكور عما لا يذكر مثاله قوله تعالى : ولكنّ البرّ من اتقى وقوله تعالى : واسأل القرية معناه واسأل أهل القرية وقوله تعالى : وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على ألسنة رسلك .

ﷺ : ولو أن قرآناً سُيرت به الجبال وقطعت به الأرض او كلّم به الموتى ، معناه لكان هذا القرآن فحذف جواب لو .

وقوله تعالى : أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، معناه أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبه خيراً ممن هو ليس كذلك قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فحذف الخبر الأول وهمزة الاستفهام والمبتدأ والخبر الثاني وهذا أبلغ ما يكون من الايجاز وهذا القسم كثير في كلام الله تعالى وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وانما يحسن ذلك اذا دلّ الدليل عليه .

فصل

اعلم ان أشرف فنون هذا العلم واعلاها عشر فنون وهي :

التشبيه ، والاستعارة ، والتورية ، والتناسب ، والتأكيد ، والتضمين ، والاقتباس ، وعكس الجمل ، والقلب ، والتجنيس . ثم يأخذ المؤلف بتعريف هذه الفنون في اللغة والاصطلاح ويأتي بالشواهد من أشعار الفحول بايجازٍ معجزٍ حقاً ويحشر أحياناً نفسه بينهم فيقول في القسم الثالث وهو تشبيه التفضيل ويعرّفه بأنه تشبيه شيءٍ بشيءٍ ثم الرجوع فتفضيل المشبّه على المشبّه به وقولي في مولانا السلطان نجم الدين [1] خلد الله دولته من أبياتٍ :

هو النجم الا انه غير آفلٍ يضيء اذا ما غابت الأنجم الزهر

(١) هو السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الارتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين في سنة ٦٩١ هـ ١٢٩١ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ومن التشبيه المؤكد أيضاً جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً مثاله قولي في مولانا السلطان خلد الله دولته :

من ضلّ عن طرق السماح فدونه نجماً عطاء الدهر من أنعامه

البدر مثل جبينه والبحر مثـــل يمينـه والدر مثل كلامه

وقد ذكر في ختام فصل التشبيه :

ولا يحتمل هذا المختصر في التشبيه أكثر من هذا الكلام ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي الذي ألّفته في الفنون الثلاثة خاصة وهي التشبيه والاستعارة والتورية وسميته دوحة البلاغة فانه كتاب شريف وفيه من الأمثلة اللطيفة من النثر والنظم للمتقدمين والمتأخرين من المشارقة والمغاربة أحسن ما وقع فيه منها وانما جعلته مقصوراً على هذه الفنون الثلاثة فنون علم البيان وصناعة البديع وألطفها عند كل ناقد بصير وفاضل نحرير ٠ اهـ ٠

وقال في فصل الاستعارة :

ومن الاستعارات اللطيفة قولي في بعض الرسائل : ما ترقرق ظلم ثنايا مرشف وتألّق برق زجاج وأشرقت شمس قرقف ٠

وقال في فصل التورية :

ومن التورية اللطيفة قولي في مولانا السلطان نجم الدين خلد الله ملكه :

وكيف يكون من أضحى وأمسى اليـه ينظر النجم السعيد

وقد فقدت بعض الأوراق من الكتاب عندما بدأ في فصل التناسب وقال عنه انه يسمى مراعاة النظير والملاءمة والتلفيق أيضاً وهو من أشرف صنائع البديع ويظهر انها كثيرة العدد لأنه لم يأت ذكر للتأكيد والتضمين والاقتباس وعكس الجمل والقلب والتجنيس بل ان بقية ما ورد في الكتاب هو في الترصيع والتسجيع ورد العجز على الصدر الذي يقول عنه انه يسمى التصدير والتطبيق أيضاً ٠

قال في مثال القسم العاشر وهو فرع القسم الخامس منه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقولي من أبيات :

خليليّ ما هبت رياح ملامة على اذني الاّ تعود هبآء

وقال في مثال القسم الرابع عشر وهو فرع القسم الرابع

وقولي من أبيات :

وزهرة روضة الدنيا غوان بنادمن المتيّم بالأغاني

وقال في مثال القسم السابع عشر وهو فرع القسم الثاني

وقولي من أبيات :

ياخليّ الفؤاد رفقاً بصبٍّ سابل دمعه بهجرك سائل

وقال في مثال القسم الثامن عشر وهو فرع القسم الثالث

وقولي من أبيات :

أبدى نجوم الدمع بعد غروبها قمرٌ تغار لحسنه الأقمار

وقال في مثال القسم التاسع عشر وهو فرع القسم الرابع

وقولي من أبيات :

لم يلهني عن مقالٍ قد سعيتُ لها راح وخصر ومحبوب وريحان

وقال في مثال القسم الحادي والعشرين وهو فرع الأول

وقولي من أبيات :

وكيف يفيق القلب من حبّ شادنٍ ومن لفظه درٌّ ومن لحظه سحرُ

وقال في مثال القسم الثاني والعشرين وهو فرع القسم الثاني

وقولي من أبيات :

فيمينه بين لقاصد جوده وبلوغ نجح واليسار يسار

وقال في مثال القسم الثالث والعشرين وهو فرع القسم الثالث

وقولي من أبيات :

لم تزل في اقتناء حمد ومدح وثناء حتى سموت سموّا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في فصل التضاد

وقولي من أبيات في مولانا السلطان الملك السعيد نجم الدنيا والدين أعزّ الله ملكه

بك أصبح الدين الحنيف مفضضاً والمذهب الحنفيّ أضحى مذهبا

وقال في «فصل في المتزلزل»

وقولي من أبيات :

فأصبح من أعرضت عنه مدمَّراً سليماً بلا ريب وانت المدمِّرُ

وأضاف الى ذلك قوله واذا فتحت الميم الثانية من لفظة المدمر في الأول وكسرتها من لفظة المدمر في الثاني كان مدحاً ولو عكست ذلك كان هجواً .

ويظهر مما أورده في الفصل المذكور وفي الفصول الملحقة به ولا سيما في الموشّح وفي الملمّع من الشواهد الفارسية انه يجيد اللغة المذكورة أيضاً تمام الاجادة .

وقد انتهى الكتاب بفصل يبتديُ بقوله ومن دقائق البلاغة حفظ مراتب التقديم والتأخير ومعرفة ذلك يتعلق بمعرفة النحو خاصة ومنها معرفة الوصل والفصل وذلك يتعلق بمعرفة مواضع العطف والاستيئناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواضعها وهذا باب له شأن عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال البلاغة معرفة الوصل والفصل وما ذلك الاّ لغموضه ودقة مسلكه وقد قيل ان العرب كانت تتكلم بالكلام ثم ينزل به الوحي وقد تغيرت فيه الفاء واواً والواو فاءً لا غير فيصير بذلك معجزاً والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهذا آخر الكتاب والحمد لله أولاً وآخرا وباطناً وظاهرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نقله من خط الشيخ محمد الخوانكي مهمر ؟ الغنيمي في سنة ١٠٤٩ رحمه الله تعالى .

ومن الحق ان اشير الى ان الصفحة الأخيرة المنقول عنها هذا الكلام ليست بخط الناسخ الأصلي الذي يدل شكل خطه المشرق الجميل على انه من نساخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القرن الثامن او التاسع بينا ان خط ناسخ الصفحة المذكورة من الخطوط الرديئة التي يصعب قراءتها .

مؤلف الكتاب

أما مؤلف هذا المختصر البديع فانه لم يترجم له أحد من العلماء واشتبه عليهم أمره فظن بعضهم انه توفي في سنة (٦٦٠) وظن آخرون انه مات في سنة (٧٦٠) مما حملني على استقصاء أخباره والبحث عن مؤلفاته فوجدت انه توفي بعد سنة (٦٦٦) هـ (١٢٦٧) م في مدينة قونية او ما اليها وانه حضر بعض السماع على الصدر القونوي وهو محمد بن اسحق بن محمد بن يوسف بن علي المتوفى سنة (٦٧٣) هـ (١٢٧٤) م وهذا الأخير هو ربيب محيي الدين بن عربي دفين دمشق المتوفى سنة (٦٣٨) هـ (١٢٤٠) م حيث كان تزوج من أمه ولم أتشدد في ان المؤلف ظلّ حيًا الى ما بعد سنة ٦٩١ هـ ١٢٩١ م بسبب تأليفه كتابه هذا المسمى « روضة الفصاحة » برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين في السنة المذكورة لأنني لم أقف على هذا الكتاب اذ ذاك وقد نشرتُ مقالة مسهبة عن المؤلف وتآليفه في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي بسنة (١٣٤٦) هـ (١٩٢٨) م من الصفحة ٦٤١ الى الصفحة ٦٦٥ ونقلت اليها من السماع الموقّع بذيله من قبل الصدر القونوي المشار اليه عبارة أرى ان هذه المناسبة تبيح لي ان اعيد ذكرها هنا أيضًا وهي بصدد سماعه كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول وهذه هي العبارة المذكورة :

« الشيخ الامام العالم العامل الفاضل سيد العلماء ، قدوة الفضلاء محيي السنة ناصر الشريعة زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مدّ الله في حياته » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مما يدلّ على مكانة المؤلف العلمية في نظر كبار العلماء في زمانه وبعده ومما لا يسعني اغفاله هو ذكر مؤلَّف للمؤلِّف اسمه « دوحة البلاغة » قال عنه انه ألفه في الفنون الثلاثة خاصة وفي التشبيه والاستعارة والتورية في عرض كلامه بكتاب روضة الفصاحة الذي نحن بصدده لأنني لم أطلع على اسم هذا الكتاب عندما استجمعت اسماء مؤلفاته المطبوعة والتي لا تزال مخطوطة بيد ان هذه الدوحة لا يعلم من أمرها ومكان وجودها شيء الآن . ولذلك وجب عليّ ان اضيفها الى ثبت مؤلفاته بالرغم من أنها مفقودة .

وأراني بعد ما اطلعت على كتاب روضة الفصاحة الذي أُلف برسم السلطان منصور نجم الدين غازي بن قرا ارسلان الأرتقي ملك ماردين انني مضطر بحكم هذه الوثيقة الى تصحيح تاريخ وفاة المؤلف والقول بأنه قد توفي بعد سنة ٦٩١ هـ ١٢٩١ م بدلاً من سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م التي رجّحتها على الأولى في مقالي السابق والله أعلم بالحقائق .

عبد الله مخلص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net